

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ

نقرأ في كتاب التوحيد، اقرأ باب قوله تعالى: {أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا} يمكن أنها الباب الثاني عشر أو الثالث عشر نعم {أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا} بسم الله الرحمن الرحيم باب: قول الله تعالى: {أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ تَضَرُّعٌ} وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ إِنْ دُونِيَ ما يَمْلُكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ} وفي الصحيح عن أنس قال: {سَجَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَخْدُوكَسِيرَتْ رَتَائِيَّةً، فَقَالَ: كَيْفَ يُخْلُقُ قَوْمٌ سَجَّوْتَ تَبِعَهُمْ؟ فَتَرَكَتْ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} } . فيه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْأَمْرِ شَيْءٌ } . في الآية: {أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكُوعِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: اللَّهُمَّ إِنَّنِي قَلَّا وَفَلَّا، بَعْدَمَا حَمْدًا "فَانْزَلْ اللَّهُمَّ" } . فيه عن الأمين شئون: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } . وفي رواية: {يَدْعُونَ عَلَى ضَفْقَوَانْ بَنْ أَشْيَةَ وَسَهِيلَ بْنِ عَمْرِو وَالْحَارِثَ بْنِ هَيْمَامَ قَنْرَلَتْ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} } . وفيه عن ابن أمير شئون: {أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ} . وفيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: {فَاقَمَ فِتَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: {أَوْ كَلْمَةً تَحْوَهَا!} اسْتَبَرَوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أَغْنِيَتُكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيفَةً عَمَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَغْنِيَتُكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَبِأَنَّهُ شَيْئًا، وَبِأَقَاطِمَةً يُنْتَكُمْ مُحَمَّدَ سَلَبِينِي مِنْ أَنَّهُ شَيْئًا، لَا أَغْنِيَتُكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } . في هذا الباب عده على هذه الآية، باب قول الله تعالى: {أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ} الآية يدخل فيها كل المخلوقات، يعني كيف يجعلون لله شركاء، وأولئك الشركاء لا يملكون لأنفسهم شيئاً، فضلًا عن أن يملكون لغيرهم؟ لا يخلقون شيئاً بل هم مخلوقون فكيف يجعلونهم شركاء لله تعالى في ملكه، وفي تصرفه؟ لا شك أن ذلك اعتراض وتنقص لله تعالى ورفع للمخلوق إلى رتبة الخالق، ودعاء له، مع الله سبحانه وتعالى فيدخل في ذلك الأنبياء والملائكة، فكلهم لم يخلقوا شيئاً، وكلهم مخلوقون، وكلهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، وإنما يطلبون النصر من الله تعالى: {أَيْسَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ} لا يستطيعون نصركم، ولا يستطيعون نصر أنفسهم، وإنما يحتاجون إلى الله، ويطلبون الله تعالى وبنحو ذلك؟ يسمع كثير منهم يدعوه، ذكرنا أن بعضهم يدعوه، ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الآيات، ما صرخ بمدلول الآية، أو يمراده بهذا الباب، تقديره الذي قدره وأراده، أن يقول: باب بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه، ولا لغيره ضرا ولا نفعاً، وإذا كان هكذا فكيف يطلب؟ وكيف يسأل؟ وإذا كانت هذه حالتكم فكيف يمن هو دونه؟ فإن الجميع كلام لا يملكون شيئاً، ولا يخلقون، وهو مخلوقون. ودل على ذلك أيضًا من القرآن آيات كثيرة، منها قوله - تعالى - في سورة الأعراف: {فُلْ لَا أَمْلَكُ لِتَقْسِيْ تَقْعَا وَلَا ضَرَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} يعني إلا ما شاء الله، إذا كان كذلك فكيف تدعونه أيها المشركون؟ وكيف تقولون أطعنا ونحو ذلك؟ يسمع كثير منهم يدعوه، ذكرنا أن بعضهم يدعوه بـ يا رسول الله، ونحو ذلك، في مرة ونحن خارجون من الحرم المكي كان عند الباب زحام شديد، فهناك ناس يدخلون، وأخرون يخرجون، فحصل زحام، سمعت واحداً صرخ بقوله: يا رسول الله، في هذه الحالة الحرجة، كأنه يقول: فرجعني يا رسول الله ما أنا فيه من الزحام، حيث إن هناك من يزحمه أمامه، ومن يزحمه إلى جانبه، نسي أو غفل أن يقول: يا رب أو يا الله. وكذلك أيضًا سمع بعض الشباب واحدًا في نفس اليوم وهو قد انتهى من الطواف، وإذا هو يقول: مدد يا رسول الله هكذا؛ فعند ذلك أذكر عليه، وقرأ عليه قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَايِّدَ لِلَّهِ قَلَّا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} كثير منهم يدعون النبي صلى الله عليه وسلم. ويدعون غيره من الأولياء، ومن عقيدة الرافضة التعالق على الحمسة الذي نظمها بعضهم بقوله: لي خمسة أطفي بيهم نار الجحيم الحاطمة المصطفى والمحتسب وباباهم والباطمة هؤلاء يعلقون عليهم أماهالم المصطفى والمحتسب - يعني الرسول - وعلى واباهما الحسن والحسين وفاطمة فهوأء يدعونهم من دون الله، والواقع كثير لديث هؤلاء المشركون، فالله تعالى قال لنبه: {فُلْ لَيْ لَا أَمْلَكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَسَدًا} لا يملك لكم لكم ضرًا ولا رشدًا {فُلْ لَيْ لَنْ يُبَيِّنَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدْ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا} إن أرادني الله بضر فلا يكشفه غيره، وإن أرادني برحمة فلا يردها غيره: {إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ ضَرًّا هَلْ هُنْ كَاشِقَاتُ صُرْبَهْ} فإذا كان هو عليه السلام لا يملك لغيره، فكيف يملك لغيره؟ وإذا كان كذلك فكيف يمن هو؟ فإذا كان كذلك فكيف قوله في سورة فاطر قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِيَ مَا يَمْلُكُونَ مِنْ قَطْمِيرَ} القطمير: هو قشرة نواة التمر، إذا أخرجت النواة، إذا أخرجت قشرة رقيقة خفيفة تفتها: فقطير، فهل هذه تسمى ملكاً من ملكها؟ أي لا تملك هذه المعبدات كلها من قطمير - حية أو ميتة - {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْهُمْ لَعَيْأَكُمْ} يعني مهما صرختكم ومهما نادتموهم: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَاهُوا لَكُمْ} لو قرر أنتم يسمعون - سواء كانوا أحياء أو أمواتاً - ما استجابوا لكم: {وَتَوَمَّ الْقِيَامَةَ يَكْفُرُونَ بِيَسِيرِكُمْ} يتبرون منكم ويقولون: {مَا كُنْتُمْ إِنَّا يَعْدِدُونَ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَا وَبِسَكُونَ} نحن في شأن وأنتم في شأن ودعونا ونحن أموات، ونحن غائبون عنكم. {وَمَنْ أَصْلَلَ مِنْ يَنْدُوْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَحِيْبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} لا يستحبون لهم إلى يوم القيمة: {وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} غافلون عنكم، أموات قد دعأتم، وقد انتقلوا إلى الدار الآخرة، أو إلى حساب الآخرة، مشغولون بأنفسهم، ولو كانوا أحياء، ولو كانوا أولياء: {وَإِذَا خَيَّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِيَاتِهِمْ كَافِرِينَ} فهكذا قوله: {وَتَوَمَّ الْقِيَامَةَ يَكْفُرُونَ بِيَسِيرِكُمْ} يدخل في ذلك الأنبياء، والآيات، والملائكة، والشهداء، والصالحون، ونحوهم؛ فلا يجوز دعاء أحد من هؤلاء؛ وإنما الذي يدعى هو الله وحده. الأحاديث صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئاً، في الحديث الأول: قصة أحد وصل إليه بعض المشركون فشجوه أي شجوه في وجنته، جرح في وجنته، وكسرت ريايته إحدى أسنانه، وهشممت البيضة على رأسه - كان على رأسه بيضة يعني: خوذة؛ وهي المفتر - فهشممت، وسقطت حلقة من حلقات المفتر في رأسه، واحتذها بعض الصحابة بأسنانه حتى نضرت ثانية من ثاباته ونزف الدم، وأحرقت فاطمة قطعة حصير وأخذت رماده وضمه على ذلك الحرج الذي في وجهه، والذي في رأسه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: {كيف يفتح قوم شجوا نبيهم؟} يعني استغرب أنهم يفتحون، ما أفلحوا، بل سلط الله تعالى عليهم، وما منهم من مات، وعذب من عذب، وهدى الله تعالى بعضهم. هاهنا: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} الامر ليس إليك، وإنما هو إلى الله، فلا تستغرب ذلك، فالله تعالى هو الذي يسلط مَنْ يشاء على مَنْ يشاء، فقد تسلط الكفار قديماً من اليهود على أنبيائهم، وقتلوا الكثير من الأنبياء، وآخر من قتلوا يعني بين زكريا قتل لرضا امرأة بغي، فكيف لا يسلطون عليك؟ ولكن العاقبة لك، ولم تتعك. هذا الآية: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} تبين أنه لا يجوز أن يسأل شيئاً من أمر الآخرة، فلا تسأله جنة، ولا تسأله رحمة، بل أعيدهوا الله تعالى، وأسألوه وحده، ولا تسأله النبي صلى الله عليه وسلم، ولا غيره. يقول الحافظ وكل من دعا معه أحداً أشرك بالله ولو محمدًا أما القصة الثانية: فكان المشركون بمكة قد تسلطوا على بعض المستضعفين، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو للمساكين في قنته في صلاة الفجر، ويدعو على أولئك المتسليطين، فإذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية بعدهما يقول: سمع الله لمن حمده، ويقول: ربنا ولد الحمد يبدأ يعلن بعض أولئك الذين تسلطوا، للمساكين: فيقول: {اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدَ وَسَلِّمْ بْنَ هَشَامَ وَعِيَاشَ بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ} كانوا من المستضعفين، ولم يتمكنوا من الهجرة. الوليد بن الوليد هو أبو خالد بن الوليد أم安 قدماً، ولكن أسره ومنعوه من الهجرة، ومع أنه يتمني ذلك، وكذلك: عياش بن أبي ربيعة وسلمته بن هشام وغيره من المستضعفين. ثم يقول: {اللَّهُمَّ اهْجُّهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ، كَانُوا يَهْجُو الْمُسْلِمِينَ، وَلَكَنَهُ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَخَسِّنَ إِسْلَامَهُ، صَفَوَانَ بْنَ أَمِيَّةَ وَلَدَ أَمِيَّةَ بْنَ خَلْفَ الَّذِي كَانَ يُعَذَّبُ بِلَالًا} لأنه كان مولاً، لما كان في وقعة بدر، وأسره عبد الرحمن بن عوف ورآه بلال قال: أمية بن خلف !! نجوت إن نجا ! فاستدعي بعض الأنصار فقتلوه، ولده صفوان أسلم بعد ذلك ودها الله، سهيل بن عمرو كان نزيلاً يمكّنه وهو من أهل الصائف من ثقيف ولكنه شرف في مكة وهو الذي حصل على يديه الصلح في صلح الحديث، ولكنه قبل ذلك كان رئيساً فيهم، وكان يُؤْلِّت على المسلمين، وكان مَمَّنْ أَلَّتْ عليهم يوم الأحزاب. فهوأء الثلاثة سُمُوا في هذا الحديث، كلهم أسلموا هداهم الله تعالى، ودخلوا في الإسلام. سُهِيلُ كان بعد ذلك من المجاهدين بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم - في عهد أبي بكر وعمر - كان قائداً من القواد. وكذلك أبو سفيان كان أيضاً يتولى القيادة، وكان يجاهد في سبيل الله، فُيئِنَّ عَيْنَهُ في سبيل الله، وجاهد، ثم فُيئِنَّ عَيْنَهُ الثانية أيضاً. ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَدَاهُمْ. فَالثَّالِثُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ، فَكَانَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَيَلْعَنُهُمْ: لَأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَذَّوْا الْمُؤْمِنِينَ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِهِمْ فَإِنْ تَأْتِهِمْ طَالِمُونَ} الله تعالى هو أغلبُهم بهم، فقد يتوه عليهم، وقد يُعَذَّبُهم. فإنْ عَدَهُمْ فَإِنْهُمْ طالمون، وإنْ تَأْتِهِمْ طالمون، وإنْ عَدَهُمْ فَإِنْهُمْ طالمون. في الآية عناب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيها دالة على أنه ليس له من الأمر شيء، وإذا كان ليس له من الأمر شيء، فكيف يُدعَّى مع الله؟ وكيف يصرف له شيء من حق الله؟!